

صورة المكان ودلالته في الرواية العربية المعاصرة

The image of the place and its significance in the contemporary Arabic novel

الطالبة: عبير عماجي

جامعة باتنة1(الجزائر)

abir.amadji@univ-batna.dz

تاريخ النشر: 2022/12/31

تاريخ القبول: 2022/12/04

تاريخ الإيداع: 2022/11/27

الملخص:

المدينة كمصطلح في الأدب لا تعكس الدلالة الجغرافية فقط، وليست مجرد بنية للرواية فحسب، بل تساهم في تشكيل أبعادها الدلالية، لأنه غالباً ما تتصل مكونات المكان بأبعاد ثقافية واجتماعية، وتعبّر عن تاريخ مضى فتصبح كرمز له، كما أن المكان رمز من رموز الهوية، ويمثل جزء من الذات الإنسانية، والمكان كتيمة في الرواية فهو عبارة عن جسر يوصل المتلقي إلى أعماق الرواية فيكشف الكثير من الدلالات العميقة التي يُمرّر من خلالها المبدع أفكاره، لذا فالهدف من هذا البحث بيان المكانة التي تحتلها تيمة المكان في الرواية وعلاقتها بباقي مكونات الرواية وتجاوزها للأبعاد الواقعية إلى الرمز والخيال، ومن هنا نطرح مجموعة من التساؤلات أهمها: ما هي طبيعة العلاقة بين المكان والزمان؟ ما هو دور الوعي المكاني للشخصية في إنتاج وتجسيد دلالات المكان؟ وما هي الاستراتيجيات التي تتبناها الروايات في اختيار هيكلها المكاني العام؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات اخترت المنهج الوصفي التحليلي للوقوف على تيمة المكان كأحد أعمدة الرواية وتحليل هذه التيمة ومعرفتها وما لها من دور في المحافظة على بناء الرواية.

الكلمات المفتاحية: تيمة المكان؛ الرواية؛ الزمان؛ الدلالات؛ الأبعاد.

Abstract :

The city as a term in literature not only reflects the geographical significance, and it not only a structure of the novel, but also contributes to the formation of its semantic dimensions, because the components of the place are often connected to cultural and social dimensions, and expresses about a date that went on and becomes a symbol of it, just as the place is a symbol of identity, and it represents a part of the human self, and the place is a dominant in the novel research is the status of the status, it is occupied by the theme of the place in the novel and its transcendence, for realistic dimensions to the symbol and imagination, and from here we ask a set of questions, the most important of which are: what is the nature of the relationship between the place and time? What is the role of the spatial awareness of the character in producing and embodying the connotations of the place? What are the strategies adopted by novels in choosing their general spatial structure? To answer these questions, I chose the descriptive analytical approach to determine the value of the place as one of the pillars of the novel and analyze this theme and its knowledge and its role in preserving

Keywords: Place theme; The novel; Time; Semantics; dimensions.

مقدمة:

استطاعت الرواية في القرن التاسع عشر أن تحتل مكانة كبيرة في الساحة الثقافية العالمية، وأن تتصدر قائمة الأجناس الأدبية، وذلك لما لها من مرونة وقدرة على مواكبة الواقع وتجسيدها له وغناها بموضوعات جديدة واسهامها في انتاج المعرفة، وتشكل الرواية العربية بشكلها المعاصر جنسا أثبت وجوده خاصة في النصف الثاني من القرن العشرين، وحتى يومنا هذا نجدتها تتصدر غيرها من الأجناس الأدبية، وقد اهتم الملتقي بها بل وسيطرة على ساحة القراءة من خلال التطور الذي عرفته، وخروج أعمال روائية عربية من الساحة العربية إلى العالمية، مما أدى بالدراسات النقدية المعاصرة إلى تسليط الضوء على الرواية ودراسة تفاصيلها وأبنيتها الفنية ومكوناتها من أحداث وشخصيات وزمان ومكان وقد حظي هذا الأخير باهتمام كبير لما له من دور في تماسك عناصر الرواية وإقامة دعائمها وكأنه يشكل نقطة التقاء عناصر الرواية ويساهم أيضا في بناء الأبعاد الدلالية للرواية، من هنا تتبين أهمية المكان كونه رابط بين مختلف عناصر الرواية، وأنه أحد أعمدها كما أنه يعكس القيمة الجمالية للرواية، وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على المكان في الرواية من خلال التعريف به وإيراد أهم المصطلحات المرادفة للمكان، وبيان أبعاد المكان داخل الرواية ثم التطرق إلى طبيعة المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة، من هنا نطرح مجموعة من الإشكالات وهي: ما هو مفهوم المكان في الرواية العربية؟ كيف نقل النقاد المصطلحات المرادفة للمكان من المصطلح الغربي إلى العربي؟ ما هي أبعاد المكان في الرواية العربية؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة اخترت المنهج الوصفي التحليلي للوقوف على مصطلح المكان ووصف تطورات وطريقة طرح وتحليل هذا المصطلح ضمن الشكل العام للرواية.

وللحديث عن المكان كتيمة لها دورها ودلالاتها في الرواية العربية المعاصرة، لا بد أن نرجع على مفهومه اللغوي، لأن

وجود المكان في الرواية يعكس أبعاده الخارجية وهو ما نستشفه من التعاريف الآتية:

أولا المفهوم اللغوي للمكان: مفهوم المكان لغة: اتفقت معظم المعاجم اللغوية على افراد معنى واحد للمكان، فنجدده عند ابن منظور "المكان الموضع والجمع أمكنة، كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان فعلا، لأن العرب تقول كن مكانك وقم مكانك واقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه"¹

وابن سيدة يرى أن المكان "جمع أمكنة فعاملوا الميم الزائدة معاملة الأصلية، لأن العرب تشبه الحرف بالحرف، كما قالوا منارة، ومناثر، فشبهوها بفعلة، وهي مفعلة من النور وكان حكمه مناوور"²

والزبيدي في تاج العروس يستشهد بقول الليث في إيراها معنى المكان "المكان اشتقاقه من كان يكون ولكنه لما كثر في الكلام صارت الميم كأنها أصلية"³

إذن المكان جمعه أمكنة وأمكن، وجمع الجمع أماكن وهو مفعول من الكون.

عبيرعماجي / الصفحات: من 167 إلى: 179

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

والمكان أيضا: "الموضع والمكانة يقال فلان يعمل على مكينته أي على اتئاده... والمكانة المنزلة عند الملك، والجمع مكانات ولا يجمع جمع تكسير وقد مكن مكانه فهو مكين"⁴

وفي القرآن الكريم وردت لفظة مكان في قوله تعالى "واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا"⁵، أي اتخذت لها مكانا نحو الشرق، ووردت لفظة مكان بمعنى المنزلة الرفيعة وذلك كما في قوله تعالى "ورفعناه مكانا عليا"⁶، ويقال "الناس على مكانتهم أي على استقامتهم"⁷

كلمة مكان تجمع بين الدلالة المعنوية والحسية حيث يمكن أن تحيل إلى المكانة الرفيعة كما يمكنها أن تحمل معنى الموضع والمحل.

ثانيا مفهوم المكان في الفلسفة: أما في الفلسفة فقد عرفه أفلاطون على أنه "الحاوي للموجودات المتكاثرة، ومحل التغيير والحركة في العالم المحسوس، عالم الظواهر الحقيقي"⁸، أي أنه مرتبط بالموجودات وغير مستقل عنها، محيط بكل ما فيها، وقد اقتضته ضرورة وجود العالم كالزمان وهو باق ببقاء الزمان والسماء ومصيره مرتبط بمصيرهما دواما وزوالا"⁹، فالمكان وجوب وجوده كالزمان في ضرورة وجوده فالعالم مرتبط بهما وبوجودهما، وقد تطرق أرسطو أيضا إلى مفهوم المكان في كتابه السماع الطبيعي بنوع من التفصيل فهو يرى أنه "الحد اللامتحرك المباشر الحاوي أو السطح الحاوي من الجرم الحاوي المساس للسطح الظاهر للجسم المحوي"¹⁰ أي أن المكان هو شيء مدرك حسي ملموس، فهو حيز نشغله وندركه من خلال تحركاتنا.

وفي الفلسفة المعاصرة عرّف المكان بأنه "ماهية الأشياء ذاتها وجوهرها المادي، فامتداد المادة وتحيزها ليس عرضا طارئا عليها، بل هو صورتها، وماهيتها، فالمكان إذن جوهر، وليس في الكون خلاء"¹¹ ويذهب كانط إلى أن "المكان صورة أولية ترجع إلى قوة الحاسة الظاهرة التي تشمل حواسنا الخمس"¹² فالمكان عند كانط شيء حسي تشمله أو تغطيه حواسنا الخمس، فقد حاول الفلاسفة تحديد مفهوم للمكان باعتباره حاويا أو محلا يعكس علاقة الانسان والأشياء به هذا من الجانب الفلسفي

ثالثا مفهوم المكان فنيا: وحتى في الجانب الفني فإن "الرواية لن تكون ذات معنى بدون هذا السياق، ولن يصير مدى الفضائية في الرواية جليا، إلا عندما يدرك المرء أن الشكل الروائي في الأدب ذو علاقة قطعا في جذوره مع المواقف الفلسفية والفنية والعلمية السائدة اتجاه الفضاء الفيزيقي"¹³ فالرواية تولي أهمية بالغة للمكان الذي يمثل جزء لا يتجزأ منها، كما أنه يعكس ما تسعى الرواية إلى إيصاله، إلا أن المكان الفني في الرواية يختلف عن المكان في الواقع على الرغم من الأهمية التي يكتسبها هذا الأخير، إلا أن المكان الروائي حاز على

عبير عمالي / الصفحات: من 167 إلى: 179

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

الاهتمام والدراسة من قبل الباحثين في علم الجمال، وهذا ما لم يحققه المكان في الواقع، وهو تحقيق اللذة الفنية.

وقد أرجع الباحث صلاح صالح تفرد المكان بهذه الميزة إلى مجموعة من الأسباب وهي:

- اختزاله لكمية من النشاط البشري الإبداعي
- اتسامه وتميزه بالخلود الفني والديمومة
- سهوله التواصل مع المكان الفني...والفرق شاسع بين سهولة التواصل مع المكان الروائي وصعوبته مع الأمكنة الواقعية.
- ما يميز الفنون هو عنصر التخيل، وطبيعة المكان الفني هي طبيعة تخيلية تغطي على جميع الأمكنة الفنية باستثناء أمكنة العمارة وهي أمكنة وهمية كاذبة يتم تخيلها وفي الفن وحده ينشأ تواطؤ ضمني بين الفنان والمتلقي على القبول بايهامية المادة الفنية وايهامية أمكنتها
- الطبيعة الذهنية للعمل للفني: فالمكان الفني نتاج ذهني واع لا يستطيعه غير البشر، والأمكنة الطبيعية موجودة خارج هذا النشاط الذهني.
- قابلية المكان الفني للتعبير اللانهائي وتلقي المؤثرات وهو ما يؤكد عدم استقلالية الموضوعية بعيدا عن التأثير البشري على خلاف ما يتمتع به المكان الطبيعي من وجود ذاتي مستقل.¹⁴

وما يميز المكان الفني في الرواية يمكن اعتباره نقاط اختلاف بينه وبين المكان الواقعي المحدود من حيث طبيعته وصعوبة التعامل معه وخلوه من الخيال ف "المكان الفني يقع خارج عالمنا الداخلي، وبمعزل عن منظوماته المختلفة على خلاف الفن المتجذر في الداخل، إننا نلاحظ دائما أن...الخارج الطبيعي لا يمكن أن يعطينا ما لا نملكه داخلنا"¹⁵

يمكن أن تكون هناك علاقة بين المكانين الواقعي والروائي-الفني – إلا أنه لا يمكن أن تكون حد التطابق وهو ما ذهب إليه سيزا قاسم في قولها "تقوم دراسة المكان في الرواية على تشكيل عالم من المحسوسات قد تطابق عالم الواقع وقد تخالفه"¹⁶ فالنقاد يميلون إلى الفصل بين المكان الروائي والمكان الواقعي.

رابعا المكان الروائي: يرتبط المكان الروائي بالحيز الذي يشغله، إلا أنه لا يشغل الوصف المادي المجرد فقط "لأن الروائي لا يتعامل مع المكان في شكله المحسوس، وإنما يتعامل معه بخياله ورؤيته الخاصة له، فهو يمثل "مكونا محوريا في بنية السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، ولا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك

عبيرعماجي / الصفحات: من 167 إلى: 179

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين¹⁷، ويعد المكان حيزا قائما بذاته له خصائصه ومقوماته الخاصة ما جعله بمثابة العمود الفقري الذي يربط أجزاء الرواية.

وظهور المكان الأولي يكون في ذهن الروائي، ويتلقاها القارئ، وهذا الظهور للمكان لا يعكس المكان في العالم الحقيقي، لأن الرواية "رحلة في عالم مختلف عن العالم الذي يعيش فيه القارئ فمن اللحظة الأولى ينتقل القارئ إلى عالم خيالي من صنع كلمات الروائي، ويقع هذا العالم في مناطق مغايرة للواقع المكاني المباشر الذي يتواجد فيه القارئ"¹⁸، لكن هذا لا يعني وجود قطيعة بين المكان في الواقع والمكان في الرواية، فالمكان الروائي يأخذ من المكان الواقعي صفاته وأسماءه وخصائصه، ويضفي عليها إضافات تعطيها طابعا مميزا وأبعادا هي كالاتي:

خامسا أبعاد المكان الروائي: جعل الباحث صلاح صالح للمكان مجموعة أبعاد هي:

أ- البعد الفيزيائي: يقل تواجد البعد الفيزيائي في المكان الروائي، وذلك لعدم وجود صلة مباشرة بين المكان في الطبيعة والمكان المشكل بواسطة اللغة، ويحضر التشكل الفيزيائي بإحالة النسق اللغوي الذي يشكل الأمكنة في الرواية الطبيعية.

ب- البعد الرياضي(الهندسي): المادة اللغوية هي المشكلة للمكان، وبالتالي هي لا تخضع للمقاييس الرياضية والهندسية، ولا تنحصر ضمن منطلق الضبط والمقاييس، لأن الراوي له حرية تشكيل المكان، وما نجده في الرواية من تخييل يضفي عليها نوعا من الخروج عن القواعد والمقاييس التي تحكم المكان.

ج- البعد الجغرافي: ويظهر ذلك فيما يقوم به الروائيون من وصف للمناطق الجغرافية وتضاريسها وما تحتويه من سهول وجبال وأنهار، وفيما يذكرونه من أسماء أماكن، وتعكس هذه الأسماء إحياءات فنية وتأويلات تخفيها تسمية المكان.

د- البعد التاريخي: ما يهم في هذا البعد ما يضعه الانسان في الأمكنة من أشياء، وساهمت في وجود التاريخ الزمني ولا يمكن فصل المكان عن الزمان لأنهما يرتبطان ببعضهما، ولا يمكن ذكر أحدهما وإغفال الآخر.

ر- البعد الواقعي: لا يكاد يهتم الروائيون بالبعد الواقعي، فما يهمهم هو البعد الفني لهذا المكان وليس البعد الواقعي، لكن دون إحداث قطيعة بينهما بل تبقى علاقة الإحالة بينهما ترافقهما طول أحداث الرواية، وحتى في حرص الروائي على النقل الموضوعي أو محاكاة الواقع فلن يكون له ذلك، فلو أخذنا مثلا التصوير الفوتوغرافي،

عبيرعماجي / الصفحات: من 167 إلى: 179

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

فاختيار المصور لمكان على حساب مكان أو رواية بدل أخرى يعد انحيازاً عن الموضوعية، فكيف إذا كان ذلك بواسطة اللغة التي تخضع لعدة مؤثرات يقول بيتور في هذا الصدد "ليس المكان الطبيعي، وإنما النص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خيالياً"¹⁹ إذن الجانب الموضوعي في المكان الروائي يرتبط بمدى قربه أو بعده من الجانب الخيالي، فكلما ابتعد عن الخيال كان قريباً من الموضوعية والعكس صحيح

ز- البعد الفلسفي: يكتسب المكان بعداً فلسفياً مما يكسبه قيمة جمالية وفكرية تضي على العمل الفني عمقا يزيد من قيمته ونستشف حضور البعد الفلسفي للمكان من خلال أبعاد حضارية واجتماعية تعكس العلاقة بين المكان الطبيعي والمكان الروائي، وهذا البعد ناتج عن حضارة المجتمع وثقافته.

ص- البعد الجمالي: يقصد به تلك التقنيات التي يستخدمها الروائيون في بناء أمكنتهم وتظهر جليا في مزج الأساليب اللغوية والتراكيب الجميلة في تصوير المكان... وحتى طريقة وصف المكان والقص ينعكس على بناء المكان.

سادسا- دراسة المكان في الرواية العربية المعاصرة: يعد مصطلح المكان في الرواية العربية من المصطلحات المضطربة في ذهن القارئ وذلك بتعدد مفاهيم هذا المصطلح في الدراسات النقدية لم يقف على تعريف واحد يخصه بل تعددت استعمالاته بين المكان والفضاء والحيز.

ونجد هذا التداخل عند مجموعة من النقاد من بينهم عبد المالك مرتاض إلى توظيف مصطلح الحيز مقابلا لمصطلح فضاء معتقدا أن "الفضاء قاصرا بالقياس إلى الحيز، لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في خواء والفراغ"²⁰، وقد ميز عبد المالك مرتاض بين كل من الفضاء والحيز في قوله "المكان الذي نقفه على الحيز الجغرافي الحقيقي، ومثل الفضاء الذي نريد به إلى كل ما هو مجرد، فراغ أصلا، كما يدل أصله اللغوي والحق أنّ هذا المعنى يطلق أيضا على الحيز الجغرافي الحقيقي، حيث أن تعريف الفضاء في بعض المعاجم العربية، هو المكان الواسع من الأرض"²¹، فهو أراد من استعماله لمصطلح الحيز أن يضيف عليه معان جديدة فقال "أنما نريد به إلى كل الامتدادات، والأبعاد والأحجام، والأثقال وكل الأشكال المتشكلة على اختلافها، وهو لا يمتنع لدينا، بحكم التي أجريناها عليه من أن يتصرف إلى غير ما يتصرف عليه مفهوم الفضاء، لدى المحللين الحدائين من العرب الذين يقفون على المكان وحده"²²، أي أن الحيز وفق تصوره أكبر مساحة وعمقا وارتفاعا ولا حدود له، إلا أن عبد المالك مرتاض قام بتمييع الحيز وأضاع مفهومه ومعناه، وما يبين هذا العودة إلى معجم لسان العرب الذي نجد فيه أن الحيز عكس ما يذهب إليه عبد المالك مرتاض، وهو ما يحد بحدود معينة فحيز

عبيرعماجي / الصفحات: من 167 إلى: 179

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

الشيء نواحيه، أما الناقدة سيزا قاسم في معظم دراساتها النقدية ترى أن المكان يتسق مع لغة النقد العربي وهو ما جعلها تختار بدل مصطلح الفضاء الذي لحقنا بفعل الترجمة من النقدين الفرنسي والانجليزي، وما تذهب إليه الناقدة أن النقاد الغربيين "قامو بتوظيف مصطلح فضاء Espace بمفهومه الحديث مصطلحات متعددة تعبر عن المستويات المختلفة للمكان، بحيث نجد في الإنجليزية الصيغ الآتية Space, Place, location ونجد في اللغة الفرنسية الصيغ Epace, Place, Lieu والمرادفات العربية لهذه المصطلحات هي المكان، الفراغ، الموقع"²³ إذا كانت الناقدة في هذه الحالة قد تحرت الترتيب في ترجمتها لهذه المصطلحات فهي تقابل بين Espace ومكان من جهة ومن جهة أخرى تقابل بين Place وفراغ، وفي الأصل أن مصطلح Espace يقابله الفضاء أو الفراغ في حين أن المكان أكثر تحديدا من الفضاء الذي يحمل معنى اللاتحديد.

أما الناقد محمد بنيس فهو يذهب إلى أن "المكان منفصل عن الفضاء، وأنه سبب وضع الفضاء، أي أن الفضاء بحاجة على الدوام للمكان"²⁴ ويدعم رأيه بمقولة لهيدغر بمعنى أن "الجسر مكان وهو كشيء يصنع فضاء تندرج فيه السماء والأرض"²⁵، فالأماكن هي التي تحدد ما في الوجود وتعطي له كيانه.

أما الناقد سعيد يقطين في دراسته للبنيات الحكائية في السيرة الشعبية، فيذهب مذهب حميد لحميداني حيث راح يميز بين مصطلحي المكان والفضاء... خاصة فيما يخص خصوصية الأول وعمومية الثاني فيقول في هذا الصدد "إن الفضاء أعم من المكان، لأنه يشير على ما هو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي، وإن كان أساسيا، إنه يسمح لنا بالبحث في فضاءات تتعدى المحدود والمجسد لمعانقة التخيلي، والذهني ومختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء"²⁶.

الناقد في دراسته يشدد في على ضيق المكان ومحدوديته أمام الفضاء الحاوي لمختلف البنيات المكانية على اختلافها.

وممن تناول المكان بالدراسة في الرواية العربية غالب هلسا المعنونة ب المكان في الرواية العربية، والتي نبه من خلالها إلى ضرورة دراسة المكان باعتباره عنصرا حكايا مهما، وقد جعل قومية خاصة للمكان الروائي، كالمكان العربي بوصفه مكانا أموميا وقد قسمه إلى أربعة أقسام:

المكان المجازي: وهو أقرب إلى الافتراض، وليس له مكان محدد، ويدرك ذهنيا ولا نعيشه.

المكان الهندسي: ويقصد به المكان الذي نجده في الرواية بوصف أبعاده الخارجية بدقة كبيرة، ويفصل الروائي في تقديم المعلومات، ويتحول المكان هنا إلى ألوان وسطوح أي يصبح درسا في الهندسة المعمارية.

عبيرعماجي / الصفحات: من 167 إلى: 179

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

المكان المعاش: وهو مكان التجربة المعاشة داخل العمل الروائي الذي يحيي ذكريات لدى القارئ، وهو مكان عاش فيه المؤلف وحين ابتعد عنه أصبح يعيش فيه بالخيال.

المكان المعادي: وهو المكان الذي يأخذ تجسده في السجن، أو في الطبيعة الخالية من البشر، مكان الغربية أو المنفى²⁷، ولاقت هذه التقسيمات جدلا واسعا وهناك من عارضها مثل الناقد محمد برادة الذي يرى بأنه "لا يمكن تقسيم الأمكنة والفضاءات في هذه الحال إلى مجازية، وغير مجازية لأنها كلها مجازية، أي لا تساوي الواقع... والمكان داخل أي نص أدبي يصبح في النهاية نوعا من السعة في المجازية، كما لا يمكن أن نقول مكانا هندسيا أو مكانا معاشا لأن جميع الأمكنة لها أبعاد هندسية، وقد يصفها الكاتب وقد لا يصفها، وقد يستنبطها من خلال إحساساته الداخلية"²⁸، فهو يرى أن المكان هو المكان البسيط مرتبط بالزمان، ويرى أن له شكلا واحدا وأبعاده ثلاثية لا يمكن أن نقسمه إلى أقسام لأنه يشكل كلا واحدا.

ومن بين النقاد الذين قاموا بتقسيم المكان إلى أقسام ياسين النصير وهما:

المكان الموضوعي: يتميز بأنه يبني تكويناته من الحياة الاجتماعية، وتستطيع أن تؤثر عليه بتمائله اجتماعيا وواقعا أحيانا.

المكان المفترض: ويتميز بكونه ابن المخيلة الذي تتشكل أجزائه وفق منظور مفترض، وهو قد يستمد بعض خصائصه من الواقع إلا أنه غير محدد، وغير واضح المعالم²⁹

وقد ظهرت في الساحة النقدية العربية دراسات نقدية حول شعرية المكان، منها كتاب جماليات المكان في الرواية العربية لشاكر النابلسي والتي قدم فيها من خلال روايات غالب هلسا السبع، اتخذها نموذجا للرواية العربية المعاصرة ويذهب الناقد إلى أن دراسته "استفادت كثيرا من منهج "باشلار" الظاهراتي في تحليله لشاعرية المكان في الابداعات العربية، ولكنها لم تلتزم به، وإنما اتخذت أداة من أدواتها لتحليل جماليات المكان"³⁰، وقد كان اختيار الناقد لدراسة روايات هلسا : لاهتمام الكاتب الكبير بعنصر المكان الروائي وغناه بجماليات المكان، وقد اعتمد الناقد في دراسته لهذه الروايات على أسلوب بسيط، مكنه من سبر أغوار المكان.

واهتم الناقد السوري صلاح صالح في كتابيه الرواية العربية والصحراء، وكتاب قضايا المكان الروائي في الأدب المعاصر، وهما دراستان شاملتان عن جماليات المكان في الرواية العربية، حيث تناول الناقد أبعاد المكان الهندسي والرياضي والفيزيائي والتاريخي والزمني والموضوعاتي والفلسفي والذهني والواقعي والجمالي...وقام

عبير عماجي / الصفحات: من 167 إلى: 179

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

بتحليل أهم التقابلات المكانية مثل التوسيع والتكثيف (المساحة والصغر)، الثراء والفقر (التزايد والتناقص)، الخارج والداخل (الظهور والتوازي)، واعتمد أيضا على تقاطعات المكان في فهم جماليات المكان والتعمق فيها مثل: التقاطع الجهوي، وتقاطع سطح وعمق، وتقاطع حياة وجهاد، وتقاطع حركة وسكون، مما أضاء العلاقات المكانية كعلاقة المكان بالزمن والشخصية، وأكد الناقد أن "اجتزاء الأمكنة وعزلها عن سياقها وجودها في كلية العمل الروائي لا يمكن اجراؤهما ما لم يتطرق إلى باقي العمل، ولك طبيعة الدرس المتوجه إلى التخصص... يقتضي شيئا من ممارسة العسف في إهمال الجوانب غير المعنية بالتناول، ويبدو أنه عسف لا بد منهما بل بلغ الوعي بضرورة التعامل مع العمل الفني في كليته"³¹، كما أكد أن جمالية المكان ترتبط بتأصيل الهوية

كما يمكن أن نشير إلى دراسة خالد حسين حسين: شعرية المكان في الرواية الجديدة وهي دراسة تجمع بين التنظير والتطبيق وتؤكد هذه الدراسة على أهمية المكان في الأدب عموما والكتابة الروائية بشكل خاص في "ضمانة التماسك البنيوي للنص الروائي من حيث، جملة من العلائق النصية التي ينسجها مع قوى النص"³²

كما عالجت دراسته هذه قضايا مكانية هامة مثل: سطوة المكان وبلاغة المكان وتغريب المكان وفلسفة المكان...

استفادت هذه الدراسة من فهم شعرية المكان، وبالقدرة على التحليل والتدقيق في القضايا المكانية، وهذا ما جعله يكشف استراتيجيات المكان في ثلاثية إدوارد الخراط.

ولهذه الدراسات على اختلافها فائدة، وإن كانت تتسم بالجزئية، فهي تخص كاتبنا معيننا، أو موطننا معيننا لذلك فهي محدودة بعامل المكان مما أعاق رصد تطور المكان في الرواية العربية، والتي تناولت بالتحليل المكاني مدونة تمتد زمنيا بين (1966م-1985)، وتشمل روايات من عدة دول عربية مختلفة.

ونظرا لتعدد الأماكن من نص روائي لآخر، فإن النظرة للمكان لم تكن واحدة عند الدارسين، بل اختلفت من دارس لآخر، وهذا ما يجسده اختلافهم في التقسيمات التي يؤول إليها المكان الروائي، وبالتالي لم يتمكنوا من وضع أسس نظرية لمفهومه في الرواية العربية.

سابعا المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة: إن الحديث عن المكان في الرواية الجزائرية يعد أساس الدراسات النقدية لأن وجود الانسان يحدد من خلال المكان "فالشخص حينما يحضر إنما يحل في فضاء، وعندما يغيب فهو ينتقل إلى فضاء آخر، والفضاء بهذا المعنى هو البداية والنهاية، إنه عنصر ثابت محسوس سهل له ثباته

عبير عماجي / الصفحات: من 167 إلى: 179

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

القابلية للإدراك من طرف كائن مستقر أو متحرك³³ لذا فالفضاء في الرواية يضيء ذلك الجانب عن التأثير بين كل الأمكنة والشخوص، وما يمر به الشخص من حالات نفسية بتأثير من المكان، ف"فضاء الرواية هو الذي يلغها جميعا إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية، فالمقهى أو المنزل أو الشارع أو الساحة كل منها يعتبر مكانا محددًا، ولكن إذا كانت الرواية تشمل هذه الأشياء كلها، فإنها جميعا تشكل فضاء

الرواية"³⁴ أي أن الأماكن داخل الرواية تشكل في مجموعها فضاء الرواية الذي يمكن اعتباره كلاً ينطوي ضمن المكان، وهو عبارة عن مكان جغرافي تصنعه الكلمات في الرواية، كما يسهم المكان في خلق المعنى داخل الرواية، فهو قد يكون أداة للتعبير عن موقف ما، ولا تقف أهميته عند مستوى تشكيل البنية النصية، بل تتجاوز ذلك إلى مستوى الدلالة التي يحددها التماثل اللغوي للنص الروائي و"الدلالة الأدبية لا تقتصر على معنى كل عنصر من العناصر التي تدخل في تشكيل البنية النصية، ولا على تشكيلة العلاقات المتبادلة بينهما، بل لا بد أن تشمل طريقة أداءها لوظائفها، وكيفية انتظامها في السياق الذي وردت فيه"³⁵

يتأسس السرد الروائي على الصورة فيما يعرضه على القارئ من أحداث يعتمد إلى تصويرها من خلال لغة يحكمها الخيال، ومن ثم فإن الخيال الذي تتلقاه في الرواية هو مكان دلالي، وارتباط المكان بالخيال يقود إلى ضرورة الإشارة إلى الصورة الفنية أو الأدبية.

فالنص الروائي يمثل مجالاً خصبا لإنتاج الدلالات، وتبدو المعاني التي توحى بها اللغة الروائية "أشلاء منتزعة من كل مجهول، هي مجال التلاعب والتخفي والتمويه والتركيب غير المنتظم"³⁶، وهذا ما يبرز دور القارئ في التفسير والتأويل، وإعطاء المعنى والدلالة لعلامات النص ولونذهب إلى الرواية الجزائرية نجدها مرتبطة بعالم الريف "فكانت القرية كما في واقع الحياة المجال المفتوح الموحى بالحرية، والفضاء المركزي الخاص للهوية"³⁷، وكان موضوع الثورة يمثل جل اهتمام الكتاب على حساب مختلف القضايا الأخرى.

وبحلول فترة السبعينات ساعدت التحولات الاشتراكية وخاصة من أصولهم ريفية، على الاهتمام بالريف، وجعله بيئة لرواياتهم ومن بين هذه الروايات ربح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة التي كان موضوعها القرية الجزائرية التي تعاني عوارض الطبيعة وأيضا المرأة الريفية والاقطاع أما في روايته الجازية والدرابيش، فطرح موضوع الأرض والاقطاع والمرأة من خلال الواقع وأدخل فيه التراث الأسطوري، ونذكر أيضا الروائي الطاهر وطار في روايته اللام والعشق والموت في زمن الحراشي، موضوع رواية اللام هو ثورة التحرير الوطني والصراعات التي شهدتها تلك الفترة، ووقعت أحداث هذه الرواية في القرية-الريف- الذي اندلعت منه الثورة التحريرية.

دفع الاهتمام الكبير بالبيئة الريفية الطاهر وطار إلى القول في المقدمة الطويلة التي خص بها رواية مرزاق بقطاش "طيور في الظهيرة" الروائي الجزائري قبل صدور هذه الرواية لا يعكس الاسمندية الجديدة سوى

عبيرعماجي / الصفحات: من 167 إلى: 179

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

الإنسان الريفي في صراعه مع الحياة وفي انتصاره أو في انهزامه، لا يتعرض إلا بصفة سطحية للمدينة، ومع مرحلة التسعينات أصبح المكان المعتمد في الروايات هو المدينة، "تحول المكان الذي كان مركزا في المرحلة السابقة إلى هامش في المرحلة اللاحقة وزحفت الأرصفت والجدران الاسمنتية الجديدة... وألفت الرواية نفسها حبيسة المدينة لكنها لهذا السبب أضحت أكثر قدرة على التقاط الجزئي واليومي والهامشي"³⁸، فقد أصبح المكان -الريف- لا يتجسد في أغلب الروايات إلا من "من خلال قبو الذاكرة وبفعل تحولات الزمن، وتراكمات الخيال وكيمياء التخمر المعقدة"³⁹، نجحت المدينة في السيطرة على كيان الشخصية الروائية بقيمها التي تزداد تعددا واختلافا بفعل نمو المجتمع المدني وتعبده، حيث أصبحت مرجعية للعمل الروائي، فقد استطاع المكان - المدينة- امتلاك ماضي الشخصية وحاضرها، ومستقبلها، فوجدت الرواية الجزائرية المعاصرة نفسها تنحصر مكانيا في إطار واحد هو المدينة، مما أدى إلى تمركز الرؤية المكانية وعدم توزيعها لدى الكاتب.

خاتمة:

من خلال البحث نخلص إلى مجموعة من النتائج وهي كالتالي:
 -بدأت مظاهر المكان وتجلياته في الروايات واضحة تميز كل عمل روائي عن الآخر
 -لم يقف النقاد في دراستهم للرواية على مصطلح واحد بل تنوعت واختلفت من دارس لآخر
 -يساهم المكان في إثراء الرواية باعتباره جزء منها وفي علاقته مع باقي المكونات
 -لم تحمل المصطلحات المرادفة للمكان نفس معنى المكان بل كان كل مصطلح والدلالة التي يحملها
 -يعود هذا التعدد لمصطلح المكان إلى تعدد الترجمة من مترجم لآخر
 -لا يمثل المكان فقط جغرافية محددة وإنما يساهم في بناء وتأسيس جماليات الرواية كوحدة فنية.

هوامش البحث:

- ¹ محمد علي عبد المعطي، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط2، 1984م، ص124.
- ² حسن مجيد العبيدي، نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، العراق، ط1، 1987م، ص27، 28.
- ³ محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 1987م، ص171.
- ⁴ محمد يعقوبي، الوجيز في الفلسفة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، ص350.
- ⁵ ابن منظور، لسان العرب، مجلد06، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص83.
- ⁶ ابن منظور، لسان العرب، ص83.
- ⁷ الزبيدي، تاج العروس، مج18، تح علي البشير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1994م، ص488.
- ⁸ ابن منظور، لسان العرب، ص82.

عبيرعماجي / الصفحات: من 167 إلى: 179

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

- ⁹ سورة مريم، الآية 16.
- ¹⁰ سورة مريم، الآية 57.
- ¹¹ الرازي، مختار الصحاح، تح وتعم مصطفى ديب البغي، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ط4، 1990م، ص334.
- ¹² يوسف كرم، تاريخ الفلسفة الحديثة، دار القلم، بيروت، لبنان، ص222.
- ¹³ جوزيف إكسبير، شعرية الفضاء الروائي، تر حسي بوحمارة، أفريقيا الشرقية، المغرب، ط1، 2003م، ص17.
- ¹⁴ ينظر صلاح صالح، قضايا المكان الروائي في الأدب العربي المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط1، 1997م، ص15، 16.
- ¹⁵ المرجع نفسه، ص18
- ¹⁶ سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م، ص103.
- ¹⁷ محمد بوعزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م، ص99.
- ¹⁸ سيزا القاسم، بناء الرواية، ص74.
- ¹⁹ ميشال بوتور، بحوث في الرواية الجديدة، ترفيدة انطونيوس، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 1995م، ص61
- ²⁰ عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة (تأسيس النظرية العامة للقراءة الأدبية)، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، د ط، د ت، ص219
- ²¹ عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة (تأسيس النظرية العامة للقراءة الأدبية)، ص219
- ²² المرجع نفسه، الصفحة نفسها
- ²³ ينظر، سيزا قاسم، بناء الرواية، ص76
- ²⁴ محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وابدالاته، ج3، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990م، ص113
- ²⁵ المرجع نفسه، الصفحة نفسها
- ²⁶ سعيد يقطين، قال الراوي البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1997م، ص240
- ²⁷ ينظر، غالب هلسا، المكان في الرواية العربية، الرواية العربية واقع وآفاق، دار ابن رشد للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981م، ص209
- ²⁸ المرجع نفسه، ص396
- ²⁹ ينظر، يسين النصير، الرواية والمكان (دراسة المكان الروائي)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط2، 2010م، ص22
- ³⁰ شاكرا النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص23
- ³¹ صلاح صالح، قضايا المكان الروائي في الأدب العربي المعاصر، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997م، ص144
- ³² خالد حسين حسين، شعرية المكان في الرواية الجديدة (ادوارد الخراط أنموذجا)، مؤسسة اليمامة، الرياض، دط، دت، ص05
- ³³ الشريف حبيلة، الرواية والعنف (دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أريد، الأردن، ط1، 2010م، ص22

عبيرعماجي / الصفحات: من 167 إلى: 179

الملتقى الوطني (الأبعاد الفنية والدرامية لفضاء المدينة في الخطاب الروائي المعاصر) جامعة الشلف- 22-23 نوفمبر 2022م

Available online at <https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/715>

- ³⁴ حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000م، ص63
- ³⁵ مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات ابراهيم نصرالله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005م، ص388
- ³⁶ سامي سويدان، أبحاث في النص الروائي العربي، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص25
- ³⁷ ينظر، أحمد طالب، جماليات المكان في القصة القصيرة الجزائرية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ورقلة، الجزائر، ع4، ماي 2005م، ص277
- ³⁸ ينظر، نجيب العوفي، مقارنة الواقع في القصة القصيرة المغربية (من التأسيس إلى التجنيس)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص568، 569.
- ³⁹ شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص41